أثر مستشاري جنكيز خان على دولـة المغـول

م.د. اركان حميد زياد

كلية التربية / جامعة سومر

arkanalagme@gmail.com

الملخص:

البحث الذي بين ايدينا هو لكشف اللثام عن الاثر المهم الذي خلفه مجموعة من المستشارين الذين اعتمد عليهم جنكيز خان في تلك الحقبة التاريخية التي ادت دوراً مهما وحيويا في تشكيل الامبراطورية المغولية الناشئة، وقد تناولنا ذلك بعدة محاور كان اولها التعريف بأبرز هؤلاء المستشارين امثال محمود يلواج الخوارزمي ويي ليو تشو تساي وتاتا اونجا وآخرين، ثم بينا في المحور الثاني الاثر السياسي، اما المحور الثالث فقد تكلمنا فيه عن الاثر العسكري الذي تركته مشورة هؤلاء، اما في المحور الرابع فقد وضحنا الاثر الاقتصادي، فيما بين المحور الخامس الاثر الاجتماعي والثقافي لهؤلاء المستشارين، ثم ادرجنا ابرز النتائج التي توصلنا اليها في هذا البحث وابرز المصادر والمراجع.

الكلمات مفتاحية:(مستشاري جنكيز خان، محمود الخوارزمي، الاثر العسكري، يي ليو تشو تساي، الاثر الاجتماعي والثقافي)

The impact of Genghis Khan's advisors on the Mongol state

Dr. Arkan Hamid Ziad

Faculty of Education / Sumer University

Abstract :

The research in our hands is to uncover the important impact left by a group of advisors upon whom Genghis Khan relied in that era, which played an important and vital role in the formation of the emerging Mongol Empire. Chu Tsai, Tata Unga, and others. Then, in the second axis, we explained the political impact. As for the third axis, we talked about the military impact left by the advice of these advisors. As for the fourth axis, we explained the economic impact. Between the fifth axis, the social and cultural impact of

these advisors, then we included the most prominent results that we reached. In this research, the most prominent sources and references.

Keywords:(Genghis Khan's advisors, Mahmoud Al-Khwarizmi, military impact, Yi Liu Zhucai, social and cultural impact).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على النبي الامي العربي وعلى آله الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . اما بعد:

فان الدارس لبدايات الدولة المغولية قد يواجه بعض الصعوبات لاسيما ما يتعلق بتاريخ تلك الشعوب البدائية التي بني كثير منه على القصة والاسطورة وانه لم يدون الا في فترات متأخرة ، ناهيك عن ندرة المعلومة التي تؤرخ لأولئك القوم، وبذلك صورت بعض من تلك المصادر ان جنكيز خان ما هو الا طاغية ومتجبر يكره الانفتاح والامم المتحضرة ولا سيما وان بعض المصادر التاريخية تعضد هذا الرأي، لكن المتفحص في بعض المصادر المعاصرة لأهم تلك الاحداث التي شهدها العصر المغولي أثبت عكس هذا التصور .

نعم ان هذا العاهل الكبير عاش في مجتمع بدائي يرى ان القوة والبأس هما السبيل الوحيد للنجاة والعيش في بيئة أقل ما توصف بأنها قاسية جداً، لكن مع ذلك فقد حرص اشد الحرص على بناء دولة تتصف بكل المقومات التي تؤهلها لتحقيق ذلك، جاء ذلك على اثر انسياح المغول وانفتاحهم على الاقاليم والامم والشعوب الاخرى ورأى حجم التطور الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي امتازت به تلك الامم ، لذلك فقد أحاط نفسه بمجموعة من المستشارين في شتى المجالات كي يرتقي برعيته الى مصاف الامم المتحضرة سيما اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان العقل المغولي كان قاصرا على تحقيق هذا الطموح لذا فقد لجأ هذا الخان لطلب الاستشارة الخارجية من الشعوب التي كان لها نصيب مهم في مجالات الحضارة والبناء.

المحور الاول: التعريف بالمستشارين

بالرغم مما اشتهر به جنكيز خان من الصلابة والعناد في سياسته فانه لم يغفل الافادة من تجارب المتحضرين اذ تلقى المساعدة من ارباب الخبرة والمرشدين وذوي الاطلاع فيما يتعلق بالشؤون الإدارية والمخابرات التي تساعده على القيام بالأعمال الحربية، والمعروف ان تنظيم الادارة المدنية عند جنكيز خان في مستهل حكمه كان امراً في بالغ الصعوبة فلا شك ان المغول وقتذاك لم يبلغوا من المستوى الحضاري ما بلغته القبائل التي خضعت لهم كالكرايت والنايمان ولهذا اصبحت الحاجة ماسة الى الافادة من خبرات الشعوب الخاضعة والموالية له عقب توحيد منغوليا[١].وقد تنوعت جنسيات اولئك المستشارين فضلا عن ثقافاتهم ومعرفتهم بالأمور السياسية والادارية والاقتصادية وفيما يلي تعريف موجز بأبرز هؤلاء الخبراء:

اولا: محمود يلواج الخوارزمي :

هو فخر الدين ابو القاسم محمود بن محمد[٢]، لقب بالخوارزمي نسبة الى مدينة خوارزم[٣]، ولقب ايضاً بلقب يلواج[٤].

كان والده وزير آتسر وهو تركي استولى على خوازم وكان محمود اديباً فاضلاً كاملا استفاد من الحكيم ابي البركات[٥]

كان محمود يلواج مسلماً يعمل في التجارة[٦]، وبهذا فقد حظي هذا التاجر المسلم باهتمام بالغ من قبل جنكيز خان وحلفائه ورعايتهم له منذ لحظة اعلان الولاء والطاعة لهم وتقلد اغلب المناصب المهمة في عهدهم، اذ وكل له القيام بعدة مهام كان لها دور وأثر كبير في بلورة كثير من الاحداث السياسية التي مرت بها الامبراطورية المغولية[٧].

تقلد الصاحب محمود يلواج مناصب عدة في عهد جنكيز خان وابناءه الذين خلفوه على عرش الخانية[٨]وارسل كسفير ومبعوثا من قبل جنكيز خان الى مدن عدة[٩] .

امتاز يلواج بمواصفات عدة وكان كفاءة ادارية وسياسية واضحة المعالم وكان كاتبا ماهراً سديداً فقد كان يتقن الكتابة بلغات عدة منها اللغة المنغولية والايغورية والتركية والفارسية فضلاً عن اتقانه الحديث بلغات عدة منها اللغة الخطائية والهندية والعربية ونظراً لذكائه وفطنته فقد وصف بأنه كان غاية في الفهم والمعرفة والذكاء وكان ايضاً موصوفا بالدهاء(١٠)

وقد بذل محمود جهوداً كبيرة في تعمير ما خربه المغول واصلاح حال الناس وادارة هذه الممالك احسن ادارة واستطاع بحسن تدبيره وتوخيه العدل ان يخفف من الام الغربة القاسية التي اوقعها المغول بالرعايا في تلك المناطق(١١).

ثانيا- يي ليو تشو تساي:

من اهالي الصين الشمالية ، اشتغل ابوه بمنصب الوزارة لسلاطين آل كين كان أهم شخص اثر في حياة جنكيز خان(١٢) فقد وصفه النسوي "وزير جنكيز خان ورفيقه"(١٣).

اشتهر ليو بثقافته العالية ودراسته الشاملة، اذ درس الحكمة والفلك والجغرافية والادب وصنف في هذه الفنون كتباً عديدة ، عين حاكما على مدينة بكين من قبل ال بكين ولكن سرعان ما سقطت تلك المدينة بايدي المغول سنة (٦١٢هـ)حتى وقع في اسرهم ، وحين وقف جنكيز خان على كفاءة يي ليو تشو تساي ومقدرته اطلق يده وقلده احدى الوظائف العالية وارتفع بذلك شأنه عند جنكيز خان ، فقد صحبة في حملاته على البلاد الاسلامية وسائر البلاد الاخرى ، وتعتبر كتاباته عن فتوحات جنكيز خان من ادق المصادر واوثقها(١٤).

ويرجع اليه الفضل فيما كان للمدينة الصينية من تأثير على جنكيز خان وفي الحد من المذابح التي كان يجريها المغول في السكان بعد الاستيلاء على بلادهم وفي انقاذ الكتب من النهب والحرق الذي تعرضت له المدن على ايدي المغول(١٥).

كان ليو في حملات المغول وحروبهم الطويلة مشغولا بأمور اخرى ، فبينما كان المغول يجمعون الاسلاب والغنائم كان هذا الحكيم يجمع الكتب والجداول الفلكية والاعشاب الطبية وقد سجل جغرافية الحملات والمعارك والمواقع وعندما اجتاحت الجيش موجة من الوباء فقد تأمنت له الفرصة عندئذ

للأخذ بثأره من الضباط الذين كانوا يهزأون به وبكتبه لقد سقاهم من ماء اعشابه وجعل الله لهم فيه الشفاء(١٦).

ويروى أن شخص من طائفة التانجوت أشتهر بصناعة الاقواس والسهام فارتفع شأنه عند جنكيز خان ونظراً لما يتمتع به هذا الشخص من عز وجاه كان كثير ما يردد هذا السؤال "ماذا يفيد شخص عالم مثل يي ليو تشو تساي قوماً لا يعنيهم سوى القتال وقيادة الجيوش ؟ فما ان وصل هذا الكلام الى سمع ليو قال له: أجل ان الدولة تتطلب استاذاً ماهراً في صنع الاقواس والسهام ولكن من الضروري لها ايضاً وجود علماء لهم خبرة بإدارة المماليك فلما بلغ جنكيز خان ما قاله مستشاره سر منه وزاد في اعتزازه وتكريمه"(١٧). وضل ليو يتمتع بتلك المكانة وفي توليه اعلى المناصب ، حتى بعد خلفاء جنكيز خان مشرعاً لدولتهم حتى توفي سنة (٦٤٠هـ)(١٨).

٣ـ تاتا اونجا :

من الايغورين وكان قبل ان يلتحق بخدمة جنكيز خان مستشاراً لأخر ملك نايماني ثم اتخذه جنكيز مستشاراً له ومعلماً لأطفاله يعلمهم الخط الايغوري(١٩).

٤ ـ تشنكاي :

كرايتي نسطوري حظي بثقة جنكيز خان والذي نعته الراهب بلان كاربين بانه مستشار الامبراطوريه فما من مرسوم يصدر في الصين الشمالية الا مقترناً بخط تشنكاي بالكتابة الايغورية(٢٠).

٥ ـ شانج شون :

أحد الاساقفة والكتاب الصينين صحب جنكيز خان في بلاد المشرق الاسلامي وقد دون أحد تلامذته الذين كانوا في رفقته مذكرات عن هذه الرحلة ويرجح انه هو الذي اوعز بكتابتها والمهم ان هذه المذكرات قد احتوت وصفا للبلاد التي مر بها في رحلته قبل الغزو المغولي وبعده(٢١).

٦ ـ حسن حاجي :

أحد التجار التحق ببلاط جنكيز خان منذ زمن بعيد والتحق ضمن حاشيته، كان حاجي مسلماً ارسله جنكيز خان لتبليغ اهالي مدينة سقناق بالاستسلام والطاعة ونصحهم بإنقاذ ارواحهم لكنهم قبضوا عليه وقتلوه ، وقد غضب جنكيز خان لمقتله اذ أمر بمداومة القتال سبعة ايام متتالية وفتحوها عنوة وقسرا انتقاما لهذا المسلم واعطى حكم هذه البلدة لأبن هذا المستشار[٢٢].

٧ ـ وهناك مستشارين آخرين اعتمد عليهم جنكيز خان في امبراطوريته ومن هؤلاء جعفر خوجا الذي انفذه جنكيز خان الى الصين الشمالية ولم يلبث ان نقل الى جنكيز خان احوال البلاد ووصف الطريق الذي سلكه وقد افاد جنكيز خان في مملكته التي انتصر فيها على التون خان[٢٣] . ويقال ان جنكيز خان متزوجا اخته[٢٤]

والمستشار الاخر هو علي البخاري الذي ارسله جنكيز خان الى خوارزم شاه مع محمود الخوارزمي[٢٥].

اما داشمند فقد كان مؤدبا لاحد احفاد جنكيز خان ابن ابنه اوكتاي بن جنكيز[٢٦] وقد افاد جنكيز خان في حملته على مملكة خوارزم شاه بما قام به من مفاوضات مع السكان الاصليين ، وكان هؤلاء الثلاثة من المسلمين ومن اشد الناس اخلاصاً لجنكيز خان في الايام القاسية التي صادفها في حياته المبتكرة[٢٧].

المحور الثاني: الاثر السياسي والإداري

لعب المستشارون الذين عملوا مع جنكيز خان دوراً مهما في تغيير افكاره تجاه بناء دولته المترامية الاطراف ، فقد كان جنكيز خان يميل الى الاصغاء لأقوال الحكماء والاستفادة من تجاربهم فمما يذكر ان حكيما صينيا حذر الخان ذات يوم قائلاً له "لقد غزوت امبراطورية كين وانت على صهوة جوادك ولكنك لا تستطيع ان تحكمها وانت على صهوة هذا الجواد " وقد صدق هذا الحكيم لان الحكم قوامه فكر وبصيرة وروية وسياسة وبناء وهذه كلها لا تجيء خطفاً كما قد يجيء الغزو خطفاً"[٢٨]. ثم حدث لهذا العاهل مرة أخرى في حياته وبعد ان كان له الملك كله على الصين وما

يسمى اليوم بروسيا وبلاد الافغان وفارس وما هو ابعد من هذا كله ، ان سمع بحكيم صيني فارسل اليه بدعوى للشورى وجاءه الحكيم واثقا من قوة روحه وان لم تكن في يده قوة السلاح حتى مثل امام جنكيز خان فاستنصح الخان : ماذا يفعل وقد غزا ما غزا وحكم ما حكم ؟ فقال الحكيم : النصح عندي ان تعيش في سلام وان تكف عن ازهاق ارواح الناس(٢٩) .

ولم تقف النصائح والارشادات التي يقدمها المستشارون الى هذا الحد بل ان بعضا منهم شاركوا في الحملات العسكرية معبرين عن آرائهم في البلدان ، ففي احدى غزوات جنكيز خان استطاع احد مستشاري جنكيز خان ان يفاوض السكان الاصليين واقناعهم بعدم جدوى المقاومة وان الاستسلام لجنكيز خان واطاعته ينجيهم من ازهاق الارواح وخراب المدينة ، وفعلاً نجح هذا المستشار في عمله فقد استمع له الناس لما لمسوا من اقواله سمة الصدق ما صغوا الى نصيحته وادركوا تمام الادراك انه لا قدرة لهم في مقاومة هذا السيل الشديد(٣٠) .

ويتكرر هذا المشهد عندما اجتمع اهل بخارى سنة (٦٣٦هـ) بعد فتحها من قبل جنكيز خان على احد المتصوفة واعلنوا التمرد والعصيان فصدرت الاوامر بقتل جميع اهل بخارى وهنا تدخل الصاحب يلواج واستطاع بحكمته وحنكته السياسية ان يسيطر على الاوضاع في المدينة فاستتب الامن وعم الهدوء لتلك المدينة بدون اراقة الدماء والتدخل العسكري(٣١) .

وبالإضافة الى ما سبق فقد ادى مستشاري جنكيز خان دوراً آخر في عقد المعاهدات والسفارات بين المغول من جهة وملوك الدول المجاورة من جهة اخرى ، فتذكر المصادر التاريخية ان سفراء جنكيز خان محمود الخوارزمي وعلي خواجه البخاري ويوسف الاتراري كلفوا بسفارة سياسية الى السلطان خوارزم شاه محملين بالهدايا النادرة والثمينة من الاحجار الكريمة والمسك واجود انواع الثياب وغيرها من المجلوبات، وكانت الرسالة تشتمل على طلب المسالمة والموادعة وسلوك مسلك المجاملة وقالو : ان الخان الكبير يسلم عليك ويقول ليس يخفى على عظيم شأنك وانا ارى مسالمتك وانت عندي من اعز اولادي(٣٢). وكان للمستشار محمود يلواج الخوارزمي دوراً مهماً ومتميزاً في انجاح هذا الاتفاق السياسي.

وحينما كان جنكيز خان ببلاد ما وراء النهر ارسل (داشمند) احد مستشارية بسفارة الى تركان خاتون وسلمها خطابه الذي يقول فيه انه يقاتل خوارزم شاه ولا يفكر ابداً في التعرض للبلاد التي تحت ادارتها ويريد منها ان تبعث بأحد ممن تثق بهم اليه حتى يسلم الى الملكة حكم خوارزم وخراسان ومضافاتها(٣٣) .

اما في الجانب الاداري فقد ترك مستشاري الخان الأعظم اثراً واضحا في ذلك، اذ بالرغم مما اشتهر به جنكيز خان من الصلابة والعناد في سياسته فأنه لم يغفل الاستفادة من تجارب المتحضرين ، اذ تلقى المساعدة من ارباب الخبرة والمرشدين وذوي الاطلاع فيما يتعلق بالشؤون الادارية والمخابرات التي تساعده في القيام بأعماله الحربية ، والمعروف ان تنظيم الادارة المدنية عند جنكيز خان في مستهل حكمه كان امراً بالغ الصعوبة ، فلا شك ان المغول وقتذاك لم يبلغوا من المستوى الحضاري ما بلغته القبائل التي خضعت لهم كالكرايت والنايمان ولذا اضحت الحاجة ماسة الى الافادة من الشعوب الخاضعة الموالية له عقب توحيد منغوليا لذلك لم يعرف جنكيز خان استخدام الاختام والكتاب الا بعد الاستيلاء على بلاد النايمان فقد كان في خدمة النايمان كاتب ايغوري يدعى تاتا اونجا فجعله جنكيز خان في خدمته وصار مستشاراً له(٣٤). وبفضل الثقافة التي تميز بها الايغوريين فقد جعلهم جنكيز خان من القائمين على بيت المال واغلب الدواوين(٣٥) .

وهكذا يتضح انه بفضل المستشارين الصينيين والايغورين والمسلمين الذين خدموا جنكيز خان وجد وسط هذه المذابح الدامية ملامح للطف والرحمة جراء النصائح السياسة والادارية التي قدمها اولئك النخبة والتي كانت نواة مهمة للإدارة المغولية فيما بعد(٣٦) .

المحور الثالث: الاثر العسكري :

كان جنكيز خان يستفيد في باب الامور العسكرية بالمختصين والادلة وارباب الاطلاع افادة كبيرة ، وكان في جيشه في كل وقت عددا من هذه الجماعة ، لاسيما تجار المسلمين واصحاب القوافل الذين كانوا يأتون من اماكن بعيدة ، وبسبب كثرة اسفارهم كانوا على علم وافر بأحوال البلاد خارج اراضي المغول ، وقد ادو لجنكيز خان في هذا الامر خدمة جليلة واستمروا على ذلك في بلاطه حتى

حدود سنة (٦٠٠هـ) وقد عملوا كسفراء الى السلاطين أو رسل فضلا عن مهام اخرى، ومع ان جنكيز خان لم يبدي رحمة أو رأفة بأعداءه الا انه كان يفرق بين المتحضرين المسالمين الابرياء وبين المشاغبين والبدو المغيرين اللصوص تفريقا بينا، فقد كان يقرب اليه الايغور والمسلمين والصينين خلافا للمنجو والتنقوت والاتراك الخوارزميين(٣٧).

وبفضل الخبرة العسكرية التي تمتع بها بعض الرعايا الذين خضعوا لسلطة لإمبراطورية المغول فقد عمد الخان الكبير الى الافادة من تلك الخبرات حتى استطاع الحصول على معدات واسلحة عسكرية منها ما يتعلق بأدوات الحصار التي لم يسمع عنها احد في ذلك الوقت(٣٨) .

لقد كانت الاحكام العسكرية التي تضبط ايقاع القوات المسلحة المغولية قاسية جدا اذا اخذنا بنظر الاعتبار طبيعة الجندي المغولي والبيئة القاسية التي كانت الاساس في نشأته العسكرية، وهذا ما اثار ملاحظة المستشار ليو الذي اقترح تهذيب بعض من تلك الاحكام العسكرية حتى استطاع ان يأخذ امر تنفيذ بعض من تلك العقوبات من ايدي ضباط المغول القساة القلب ليضع ذلك في ايدي قضاة متخصصين بدلا عنهم لهذا الواجب(٣٩) .

اضف لما سبق فقد كان للخبرة الاسلامية الدور الكبير في نقل بعض الانظمة العسكرية التي كان معمولا بها في البلدان التي يرتادونها، فقد كان لتجار المسلمين الذين وفدوا الى بلاط جنكيز خان مساهمة فاعلة في وضع نظام الحرس الملكي(٤٠).

وبادر المغول لإقامة نظام البريد لسد حاجة الامبراطورية من الناحية العسكرية وتولى ليو تشو تساي ورفاقه انشاء محطات للبريد على امتداد الطرق المعروفة وحرصوا على ان يتوفر لكل محطة ما تحتاج اليه من المركبات والسواقين والافراس والمؤونة من الحبوب والاغنام وقد اشاد الرحالة ماركوبولو بهذا النظام وطبيعته المتقنة(٤١).

المحور الرابع: الاثر الاقتصادي :

امتازت الحياة الاقتصادية في بداية نشوء الدولة المغولية بالبساطة الشديدة الخالية من التكلف والتعقيد . لكن التوسع الكبير الذي حصل بعد اعلان الامبراطورية المغولية وضم اراضي جديدة

تطلب الامر الاعتماد على الخبرات وكما اسلفنا فقد اتكأ جنكيز خان على عدد من المستشارين الذين قدموا خدمات جليلة في كل المجالات وبخاصة في المجال الاقتصادي . فمما ينقل في هذا الصدد ان جنكيز خان اعتمد على المستشار ليو تشو تساي الذي جعل لإمبراطورية المغول ميزانية ثابتة "بأن الزم الصينيين بأن يؤدوا الضرائب نقداً ونوعاً بما يجري تقديره من اثواب الحرير وكميات الحبوب على حين يبذل المغولي عشرة في المائة مما يحوزوه من قطعان الخيل والماشية والغنم. وعلى هذا الاساس ما جرى فتحه من بلاد الصين، ويعتبر اراضي مستباحة تقرر تقسيمه منذ سنة ١٢٣٠بين عشرة دواوين، يتولى ادارتها موظفون من المغول والصينيين المثقفين"(٤٢)

ومما يذكر ايضاً عن انجازات هذا المستشار انه عندما عاد جنكيز خان من البلاد الاسلامية الى منغوليا عام (٦٢٢هـ) ابلغ ان ازمة شديدة تجتاح الاقاليم الصينية فمخازن الحبوب اصبحت خاوية على عروشها كما خلت الخزانة من النقود وانعدم وجود الاقمشة الثمينة فعقد مجلس تشاوري للبحث عن مخرج من هذا المأزق ،فاقترح أحد قواد جنكيز خان حلا ينذر بالدمار والفناء بقوله : "ان الرعايا الصينيين الجدد عديمي الجدوى غير صالحين لمباشرة الاعمال الادارية والحربية ولهذا يجب استئصالهم جميعاً لكي تحول الاراضي الى مزارع للحيوانات ومزارع للغلات " وعلى الفور اعجب جنكيز خان بهذه الفكرة وكان على وشك ان يصدر اوامره بالتنفيذ فيحكم بالفناء على ما يقرب من عشرة ملايين من الانفس لو لم يتدخل يي ليو تشو تساي ليحول دون وقوع هذه الكارثة ، فقدم مقترحا لجنكيز خان بدافع الانسانية اولاً وبدافع حب الوطن ثانياً واظهر له المزايا التي يمكن الحصول عليها وذلك باستغلال المساحات الخصبة والاستفادة من الرعايا الجدد القادرين على الصناعة كما بين له ايضاً اذا رفعت الضرائب على الاراضي والبضائع فانه يمكن الحصول على (٥٠٠)الف اوقية من الفضة و(٨٠) الف ثوب من الحرير و(٤٠٠) الف غراره من الحبوب، وبهذا التفكير السديد كسب المعركة اذ كلفه جنكيز خان بوضع نظام عام للضرائب٠ وبفضل ليو تشو شاي وسائر المستشارين من الايغور والمسلمين اقام جنكيز خان وسط قسوة وعصبية اتباعه اصول الادارة المغولية ولعل ما كان يصدر من جنكيز خان من افعال انما يدل على ميله وتقديره للمتحضرين والمثقفين ، اذ افاد من التجار المسلمين فيما احرز من انتصارات في حملاته المختلفة ، وفيما ادخله المسلمون في منغوليا

من وسائل جديدة ترتبط بالقطاع الزراعي من شأنها زيادة نسبة الانتاج ، يضاف الى ذلك ما احرزه هؤلاء في منغوليا من نجاح في معاملاتهم التجارية(٤٣) .

اضف لما سبق فقد انيطت بهؤلاء المستشارين مهمة اخرى وهي عقد المعاهدات التجارية ، فبعد ان وطد المسلمون حكمهم في اسيا الوسطى بدأوا يمرون من طرق التجارة القديمة فبلغت قوافلهم التجارية في القرن الثامن الهجري بلاد القرغيز في اعالي نهر ينسي ،(٤٤)، فتذكر المصادر التاريخية ان جنكيز خان ارسل ثلاثة من مستشاريه لعقد معاهدة تجارية مع سلطان خوارزم شاه(٤٥) .

ويبدوا ان السبب الذي دفع بخوارزم شاه بالموافقة هو الدور الذي لعبه الصاحب محمود يلواج وحنكته السياسية باقناع خوارزم شاه بأنه لا طاقة له بمجابهه جنكيز خان وقواته ، وبعد عقد هذه المعاهدة تحرك جمع كبير من تجار المغول ومعهم قدر عظيم من البضاعة القيمة من بلاد المغول الى بلاد ما وراء النهر لكن طمع امير مدينة اترار في اموال هؤلاء التجار الذي افهم السلطان انهم جواسيس حيث تم قتلهم عن بكرة ابيهم سوى احدهم استطاع الفرار واستولى على ما معهم(٤٦).

وبذلك نكون قد فهمنا الاثر الذي تركه المستشارين الذين أحاطوا بجنكيز خان في الجانب الاقتصادي بما اسدوه من نصائح وافكار من شأنها ان غيرت من سياسة المغول تجاه الاقاليم الجديدة وايجاد نظام اقتصادي لشعب لا يعرف سوى الحرب وحب السيطرة والتوسع على املاك الغير

المحور الرابع: الاثر الاجتماعي والثقافي:

من خلال مطالعتنا للتطورات التي رافقت نشوء الامبراطورية المغولية زمن جنكيز خان فقد لمسنا اثراً واضحاً لأولئك المستشارين الذين عملوا تحت ظل هذه الامبراطورية على المجتمع المغولي الجديد فنجد ان يي ليو تشوتساي لم يجرؤ على مخالفة سياسة جنكيز خان رغم انه استمر في اخلاصه للخان الاكبر الا انه اخذ على عاتقه متى ما سمحت الفرصة ان يسارع الى نجدة المنكوبين والتخفيف عن ويلاتهم، فكان يعطي الدواء والغذاء لأولئك المساكين الذين كانت لهم السلامة والنجاة من القتل(٤٧). ولطالما اشار هذا المستشار على جنكيز خان بنصائحه تجاه بعض المجتمعات والاقاليم المجاورة التي اراد المغول انزال القتل والخراب في ديارهم، اذ لم يستطع ان يخفي شعوره وعاطفته فكان

كثير ما يطلب الرأفة بمدينة او اقليم حل به قضاء المغول وحكمهم ويشير بذلك اوكتاي ابن جنكيز خان بقوله : الا تزال تبكي على هؤلاء القوم(٤٨).

ومن اهم مظاهر اهتمام المستشارين واثرهم بالمجتمع أن الحكيم الصيني ليو استخلص اثناء بحثه عقاقير طبية لمكافحة ما يصدر عن الجثث من اوبئة(٤٩).ولم تقف اهتمامات هذا المستشار عند هذا الحد بل نبه بعض الخانات عن بعض العادات الاجتماعية المضرة وبخاصة شرب الخمر فعندما رأى ان نصائحه تجاه هذه العادة المغولية لا تجدي نفعاً جاء يوما بوعاء من حديد تحفظ به الخمرة وقد تآكلت حافتها بفعل الكحول وعرض هذا الوعاء على العاهل المغولي وهو يقول : اذا كانت الخمرة تحدث مثل هذا التأثير على الحديد فأحكم بنفسك كيف يكون تأثيرها في احشائك. وقد كان لهذا البرهان العملي أثر كبير على الخان حتى أعتدل في شربه للخمر (٥٠).

ومما يذكر في هذا الصدد ان وباء حل بالجيش المغولي فاخذ ليو بالبحث حتى اكتشف علاجاً من الاعشاب وجعل الله لهم فيه الشفاء(٥١) .

اما عن الاثر الثقافي الذي تركه المستشارين على المجتمع المغولي فقد عرف عن هؤلاء المستشارين انهم على درجة عالية من الثقافة، فكان احدهم عالماً بالحكمة والفلك والجغرافية والادب(٥٢).فمما يذكر عن تاتا اونجا الذي كان يعمل بخدمة ملك النايمان والذي التحق بخدمة جنكيز خان بصفة مستشار فعلم المغول الخط الايغوري واصبح معلماً لأولاد جنكيز خان(٥٣)واتخذ المغول بعض علماء البوذية الايغور كتّاباً وكان يطلق على احدهم (بخشي)(٥٤).

ويتحدث بارتولد ان جنكيز خان التقى في بلاد النايمان بحامل الاختام "تامغاجي" وكان ايغورياً فأخذ عنه جنكيز خان الابجدية الايغورية(٥٥) .

كما افاد الايغوريين في التعرف الى ما كان سائداً في ارخون وتورفان من حضارة تركية قديمة وبما تنطوي عليه من تراث يستند الى مؤثرات سريانية ونسطورية ومانويه وبوذيه والمعروف ان جنكيز خان وحلفاءه الأوائل طلبوا من الايغوريين وضع قواعد الادارة المدنية بما يتبع في دواوينهم من اللغة والكتابة والواقع ان ما يعرف بالأبجدية الايغورية ليست الا تعديلاً لأبجدية الصغد الايرانيين التي

انتقلت من الصغد الى الترك فنشرها الايغوريين في منغوليا ثم جاء بها المغول بعد ان اصبحت الابجدية القومية عندهم الى الغرب ثم انتقلت الى المغول والى المانشو[٥٦] .

وحينما تم الاستيلاء على بكين انشأ ليو بها وبمدينة ينج المدارس التي كان يدرس بها المغول الشبان تعاليم كونفوشيوس، ويرجع الفضل ايضاً لهذا الحكيم في حفظ التراث ، ففي الوقت الذي تكون فيه الجيوش المغولية اثناء تقدمها مشغولة بالقتال والسلب والنهب فأن الذي يشغله هو انقاذ الكتب الثمينة من الحرق والغرق وذلك في المدن التي تعرضت لنهب المغول او تلك التي اشعلوا فيها النيران او تلك التي سلطوا عليها الماء لإغراقها فكان بذلك يؤدي خدمة جليلة في سبيل العلم والثقافة وهو نفس العمل الخالد الذي قام به بعد نصف قرن الخواجة نصير الدين الطوسي فقد شاء القدر ان يكون هذا الرجل في خدمة سفاح اخر هو هولاكو خان[٥٧] .

الخاتمة والاستنتاجات:

بعد استعراضنا لسيرة أبرز هؤلاء المستشارين وبينا ما هو الأثر الذي خلفوه على المجتمع المغولي في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية كان لزاما علينا ان نطلع القارئ لأبرز النتائج والأستنتاجات التي توصلنا اليها ، وهي كالتالي:

١- لم تكن شخصية جنكيز خان مستبدة ومتجبرة ومتفردة بالرأي حسب ما صورته بعض المصادر بل على العكس من ذلك تماما ، اذ كان يستشير ويقبل النصح في مختلف الاصعدة بدليل قبوله بعض المقترحات من بعض المستشارين ابان غزو بعض البلدان كما حصل في قصة عصيان اهل بخارى وكيف جنبهم الصاحب محمود يلواج من الهلاك والدمار كما اسلفنا سابقا.

٢- اثبت البحث ان جنكيز خان كان يحترم اصحاب المهن والمتحضرين والإفادة من خبراتهم على كل المستويات ، بدليل اقتباس معظم معالم ادارته كان بتأثير هؤلاء المستشارين.

٣- لم يؤخذ جنكيز خان الانتماءات الدينية بنظر الاعتبار لأولئك المستشارين بل على العكس من ذلك اذ اظهر تسامحا منقطع النظير مع كل الديانات ، فقد ركز همة وجهده على مقدار

الإفادة المهنية من خبرات هؤلاء لرفع مستوى رعيته في الجوانب الادارية والاقتصادية والاجتماعية٠

٤- نستطيع ان نقول ان أولئك المستشارين بفعل ما يمتلكون من خبرات استطاعوا التأثير الى حد ما على جنكيز خان والرعايا الخاضعة لسلطته ، فإلى جانب انفتاح المغول على الأمم المتحضرة وأثر هؤلاء المستشارين لاحظنا ان هنالك نقلة نوعية لحياة هؤلاء الذين كانوا امة لا تعرف سوى السلب والنهب والاغارة على بعضهم بعضا إلى إمبراطورية مترامية الأطراف يسودها النظام والقانون٠

الهوامش:

[١] ـ الصلابي ، المغول التتار، ص١٨١ .
[٢] ـ ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب ، ج٤ ، ص٣٩٨.
[٣] ـ الهمذاني ، جامع التواريخ ، ج٢ ، ص٩١ ٠
[٤] ـ الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، ج١، ص٩٣٠
[٥] ـ البيهقي ، تاريخ بيهق ، ج١، ص٢٤ ؛ تتمة صنوان الحكمة ، ج١ ، ص٣٢ ٠
[٦] ـ بار تولد ، تاريخ الترك في اسيا الوسطى ، ص١٦٣ ٠
[٧] ـ عبد الحليم ، انتشار الاسلام بين المغول ، ص٧٦ ؛ مزبان ، النشاط العسكري للتتار ،ص ١٧٧ ٠
[٨] ـ ينظر ، الطائي ، اعلام امراء البلاط المغولي ، ص١٠٤ ـ ١٠٥ ٠
[٩] ـ ينظر ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٤٤،ص٢٢ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب، ج٧ ، ص١١١ ٠
[١٠] ـ الطائي ، اعلام امراء البلاط المغولي ، ص ٩٢ـ٩٣ ـ ٩٤ ٠
[١١] ـ الصياد ، المغول في التاريخ ،ص٥٥ ؛ عبد الحليم ،انتشار الاسلام بين المغول ، ص٧٦ ٠
[١٢] ـ الصياد ، المغول في التاريخ ، ص١٥٥ ؛ العريني ، المغول ، ص١٥٠ ٠
[١٣] ـ سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص٢١ ٠
[١٤] ـ الصياد ، المغول في التاريخ ،ص١٥٦ ـ ١٥٧ ٠
[١٥] ـ العريني ، المغول ،ص١٥١ ٠
[١٦] ـ غروسيه ، جنكيز خان ، ص٣٢٠ ؛ نقلا عن الصلابي ، المغول التتار ،ص٩٠
[١٧] ـ المرجع السابق ، ص٩١؛الصياد ،المغول في التاريخ ، ص١٥٦ ٠
[١٨] ـ حمدي ، الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٢٦٠ ٠
[١٩] ـ الصياد ، المغول في التاريخ ،ص١٥٥ ٠
[٢٠] ـ العريني ، المغول ، ص١٦٣ ٠
[٢١] النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص٢١ ٠
[٢٢] ـ الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، ص١١٥ ٠
[٢٣] ـ الصلابي ، المغول التتار ، ص٩٠ ٠
[٢٤] - الأمين ، الاسماعيليون والمغول ، ص٧٥ ؛ الكوراني ، كيف رد الشيعة غزو المغول ،ص ٧٣ ٠

[٢٥] ـ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٤٤ ، ص٢٢ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٧ ، ص١١١ ٠
[٢٦] ـ الامين ، الاسماعيليون والمغول ، ٧٥ ٠
[٢٧] ـ الصلابي ، المغول التتار ،ص٩٠ ٠
[٢٨] ـ الصياد ، المغول في التاريخ ،ص١٥٤
[٢٩] ـ المرجع نفسه ،ص١٥٤
[٣٠] ـ الجويني ، تاريخ جهانكشاي ،ص ١٢٥
[٣١] ـ الجويني ، تاريخ جها نكشاي ،ص ١٣٢
[٣٢] ـ ينظر : الذهبي تاريخ الاسلام ، ج٤٤ ، ص٢٢ ؛ العبر ، ج٣ ، ص١٦٥ ، النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين منكبري ، ص ٨٣؛ بارتولد ، تاريخ الترك في اسيا الوسطى ، ص ٦٣ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص١١١٠
[٣٣] ـ اقبال ، تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص٣٦٠ ٠
[٣٤] ـ العريني ، المغول ، ص٥٨ ،١٤٩ ٠
[٣٥] ـ فامبري ، تاريخ بخارى ،ص ١٦٧ ٠
[٣٦] ـ الصياد ، المغول في التاريخ ، ص١٥٨ ٠
[٣٧] ـ اقبال ، تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص٣٨٢ ٠
[٣٨] ـ العريني ، المغول ، ص٧٥ ٠
[٣٩] الصلابي ، المغول التتار ،ص ٩١٠
[٤٠] ـ طقوش ، المغول العظام ، ص٣٥ ٠
[٤١] ـ العريني ، المغول ، ص١٦٢ ٠
[٤٢] ـ المرجع نفسه ، ص ١٦٢ ٠
[٤٣] ـ العريني ، المغول ، ص ١٥٢
[٤٤] ـ المرجع نفسه ، ص٧٠ ؛ بارتولد ، تاريخ الترك في اسيا الوسطى ، ص٥٩
[٤٥] ـ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٤٤ ، ص٢٢ ؛ النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص٨٣ ؛ فهمي ، تاريخ الدولة المغولية في ايران ، ص٤٩ ؛ القلقشندي ، نهاية الارب ، ج٢٧ ، ص٢٣٩ ٠
[٤٦] ـ اقبال ، تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص٣٥١ ٠
[٤٧] ـ الصياد ، المغول في التاريخ ، ص١٥٧ ٠
[٤٨] ـ الصلابي ، المغول التتار ، ص٩٠ ـ ٩١ ؛ العريني ، المغول ، ص١٥١ ٠
[٤٩] ـ المرجع نفسه، ص١٥١ ٠
[٥٠] ـ الصلابي ، المغول التتار ، ص٩١ ٠
[٥١] ـ المرجع نفسه ، ص٩٠ ٠
[٥٢] ـ الصياد ، المغول في التاريخ ، ص١٥٥ ؛العريني ، المغول ، ص١٥٢ ٠
[٥٣] ـالصياد ، المغول في التاريخ ، ص ١٥٥ ٠
[٥٤] ـ اقبال ، تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص٣٨٩ ٠
[٥٥] ـ تاريخ الترك في اسيا الصغرى ، ص١٤٦ ٠
[٥٦] ـ العريني ، المغول ، ص١٥٢ ـ ١٥٣ ٠
[٥٧] المرجع نفسه ، ص ١٦٢ ٠

قائمة المصادر والمراجع

- البيهقي ، ابو الحسن ظهير الدين علي بن زيد (٥٦٥هـ)
١- تاريخ بيهق ، ط١ ، (دمشق – ١٤٢٥ هـ)
- الجويني ، علاء الدين عطا بن بهاء الدين
٢- تاريخ فاتح العالم (جهانكشاي) ترجمة محمد السباعي ،ط١ ، القاهرة
- الذهبي ، شمس الدين ابو عبدالله بن محمد (ت٧٨٤هـ)
٣- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق عمر عبد السلام ، ط٢ ، دار الكتاب (بيروت-١٤١٣هـ)
٤- العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد (الكويت- ١٩٨٤)
- ابن العماد، عبد الحي احمد بن محمد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)
٥- شذرات من ذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق محمد الارناؤط ، ط١، دار ابن كثير ، (دمشق - ١٤٠٦هـ)
- ابن الفوطي ، عماد الدين ابو الفضل عبد الرزاق
٦- تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، تحقيق مصطفى جواد ، المطبعة الهاشمية – دمشق
- النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ)
٧- نهاية الارب في فنون الادب ، ط١ ، دار الكتب (بيروت لبنان)
- النسوي محمد بن احمد
٨- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق حافظ احمد حمدي ، دار الفكر

المراجع:

- الأمين ، حسن
٩- الأسماعيليون والمغول ، ط١، (بيروت – لبنان)
- الكوراني ، علي
١٠- كيف رد الشيعة على غزو المغول،ط١ ،دار الهدى (قم -١٤٢٧هـ)
- مزبان ، اسراء مهدي
١١- النشاط العسكري للتتار وأثره في قيام الدولة المغولية (٥١٩هـ - ٦٢٤هـ) ط١ ، (دمشق - ٢٠١٣)
- اقبال ، عباس
١٢- تاريخ ايران بعد الاسلام ، ترجمة محمد علاء الدين ، دار الثقافة –القاهرة
- حمدي ، حافظ احمد
١٣- الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر
- الصلابي ، علي محمد
١٤- المغول التتار بين الانتشار والانكسار ، دار الاندلس – مصر

- الصياد ، فؤاد عبد المعطي
١٥- المغول في التاريخ دار النهضة – بيروت
- الطائي ، سعاد هادي حسن
١٦- اعلام امراء البلاط المغولي دراسة في دورهم العسكري والسياسي والاداري والاقتصادي والعمراني (٦٢٤- ٦٧٣هـ/١٢٢٧ -١٢٧٤م) ،ط١ ، دار صفحات (دمشق-سوريا)
- طقوش، محمد سهيل
١٧- تاريخ المغول العظام والايلخانيين ، ط١ ، دار النفائس
- عبد الحليم ، رجب
١٨- انتشار الاسلام بين المغول ، دار النهضة – جامعة القاهرة
- العريني ، السيد الباز العريني
١٩- المغول
- فامبري ، ارمنيوس
٢٠- تاريخ بخارى ، ترجمة احمد محمود ، مكتبة النهضة – بيروت
فهمي ، عبد السلام عبد العزيز
٢١- تاريخ الدولة المغولية في ايران، دار المعارف (القاهرة -١٩٨١م)